المقدمة

إن الحمـــد لله نحمـــده ، ونستعينه ، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

استفتح بالذي هو خير :

" ....رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ " (الممتحنة : ٤)

" يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ"

(آل عمران : ١٠٢)

" يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ...."

(النساء : ١)

" يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا " (الأحزاب : ٧٠-٧١)

" يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ "(لقمان : ٣٣)

" يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ "

(الحج : ١)

أما بعد

فلقد تتابعت سهام الكفر والشرك على أمة الإسلام تترى، فتارةً تنال دماءَنا وتارةً تنال أموالَنا، وتارةً تنال نساءَنا وتارةً تنال أولادَنا، وتارةً تنال ديارَنا وتارةً تنال أوطانَنا غير أن ذلك كله هينٌ إذا ما طالت سهام الكفر والغدر أحبَّ خلق الله تعالى إلينا وأكرم خلقه سبحانه وتعالى عنده، ذاك شمس النبوة ومصباح الهداية وقائد الأمة وشفيعها بإذن الله تعالى رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى إذا نالت سهام الحقد النتنة مقام النبوة وتعرضت لجناب الرسالة هان عنده كل مصاب، وبات كل مصاب بعده جلل، فلا الديار ولا الأموال ولا النفوس ولا الأهلون تفي **فداء رسول الله صلى الله عليه وسلم**، ولكن إلى الله المشتكى من الخَوَر والخذلان، **وإلى الله المشتكى** ممن يرى ويسمع ولكن لا تُبصر له عين ولا تعي له أذن، بل كالحجارة الصماء والدواب البكماء، ولو استثيرت هذه الدواب في بعض ما فيه معاشها لهبَّت ونهضت واستنهضت، فلا نامت أعين الجبناء...

ولمَّا لم يكن سبُّ الرسول صلى الله عليه وسلم جريمةً مبتدعة اليوم بل كانت جريمةً قديمةً قِدم الرسالة والبعثة، فتارة رموه بالسحر وتارة بالجنون، وتارة نظموا في هجائه الشعر، وتارة حثُّوا القيان على التغني بسبِّه، فلا بد وأن يكون الوحي قد نطق بحكم هؤلاء قرآناً وسنةً، والأمر كذلك، فكان لا بد من المصير إلى حكم الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم في هؤلاء، إذ لا يخفى أن صدورنا لم تشفَ وغيظ قلوبنا لم يذهب بتلك البيانات الهزيلة والاستنكارات الخافتة، والدعوات الغريبة لإقامة مؤتمرات التقارب وغير ذلك من الترَّهات، لم يذهب شيءٌ من ذلك بما في قلوبنا من غيظٍ وكمدٍ تجاه أولئك المجرمين، ولن يذهب غيظ قلوبنا حتى نرى حكم الله تعالى فيهم نافذاً إنه خير مأمول وأكرم مسؤول.

وانظر إلي وصف حكام المسلمين في حرصهم على عروشهم وكراسي الحكم :

" **والله لو علموا أن في** عبادة الصلبان تمشية أمورهم بادروا إليهم ، فنحن نراهم يستمدون النصارى فيمكنوهم من حُرم المسلمين وأبناءهم وربما أعطوهم المدن والقلاع طوعاً فأخلوها من الإسلام " (١)

ويقول ابن حبان :

دهرنا غربل أهلية أشد غربلة ففسفس أخلاقهم وسفه أحلامهم وخبث ضمائرهم .

فهذا أبو عبد الله الصغير محمد بن على بن نصر أو محمد الحادي عشر أخر ملوك غرناطة الذي سلم غرناطة للملكين الكاتوليكين فرناندو وايزبيلا نظير حق الملكية له ولأحفاده على بعض الحصون والقلاع الصغيرة يحكمها باسمهما ويؤدي إليهما الضرائب ويحصل لهما الخراج والعشور.

كان صغيراً في تهاونه وتخاذله حريصاً على دنيا تفلتت من بين يديه ، ويقف باكيا أمام قصر الحمراء فتقول له أمه : إبك بكاء النساء ملكا لم تحافظ عليه مثل الرجال .

ولم يرث أحفاده وأولاده غير الجوع والتشرد والحرمان ، فقد رأي المقري المؤرخ في فاس أحفاد أبي عبد الله الصغير شيوخاً يتسولون ويعيشون من الصدقات ويشاء الله أن يظل شاهد قبر أبي عبد الله الصغير – حيث كتب عليه اسمه وتاريخ مولده ويوم وفاته وصفته – عتبه لباب منزل صغير بمدينة تلمسان يطأه الناس بأقدامهم عند دخولهم وخروجهم .

وأذكر موقف صلاح الدين الأيوبي من الأمير أرناط – زمن الحروب الصليبية – الذي تعرض لحجاج بيت الله الحرام وحاول التعرض بقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاجتهد صلاح الدين الأيوبي في الوصول إلي أرناط فلما تمكن منه قتله شر قتله انتصاراً لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) رسائل ابن حزم ، ٣ / ١٧٦ .

فأين هذا وذاك ، فالذي خذل الإسلام وباع أخرته بعرض ذائل ذهب إلي مزبله التاريخ وأما الذي نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن الله عزوجل قد رفع ذكره وخلده التاريخ.

" ...فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ " (الحشر: ٢).

وحبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم، اسم على مسمّى، علم على رمز ووصف على إمام، جمع المحامد، وحاز المكارم، واستولى على القيم، وتفرّد بالمثل، وتميّز بالريادة، محمود عند الله لأنه رسوله المعصوم، ونبيّه الخاتم، وعبده الصالح، وصفوته من خلقه، وخليله من أهل الأرض، ومحمود عند الناس لأنه قريب من القلوب، حبيب الى النفوس، رحمة مهداة، ونعمة مسداة، مبارك أينما كان، محفوف بالعناية أينما وجد محاط بالتقدير أينما حلّ وارتحل، حمدت طبائعه لأنها هذّبت بالوحي، وشرفت طباعه لأنها صقلت بالنبوة، **فالله محمود ورسوله محمد**:

وشقّ له من اسمه ليجلّه ..... فذو العرش محمود وهذا محمّد

واسمه أحمد، بشّر بذلك عيسى قومه، واسمه العاقب والحاشر والماحي وهو خاتم الرسل وخيرة الأنبياء، وخطيبهم إذا وفدوا، وإمامهم إذا وردوا.

صاحب الحوض المورود، واللواء المعقود، والمقام المحمود، صاحب الغرّة والتحجيل، المذكور في التوراة والإنجيل، المؤيّد بجبريل، حامل لواء العزّ في بني لؤي، وصاحب الطود المنيف في بني عبدمناف بن قصي، أشرف من ذكر في الفؤاد، وصفوة الحواضر والبوادي، وأجلّ مصلح وهاد، جليل القدر، مشروح الصدر، مرفوع الذكر، رشيد الأمر القائم بالشكر، المحفوظ بالنصر، البريء من الوزر، المبارك في كل عصر، المعروف في كل مصر، في همة الدهر، وجود البحر، وسخاء القطر، صلوات الله وسلامه عليه وآله وصحبه ما نجمٌ بدا، وطائر شدا، ونسيم غدا، ومسافر حدا.

وأخيراً فإني أتقدم بخجل شديد من سيدي وقائدي وحبيبي وشفيعي بإذن الله يوم القيامة وفرطي على الحوض الرسول الكريم بأبي هو وأمي صلوات الله وسلامه عليه بهذا الدفاع المتواضع عن عرضه وجنابه، وأسأل الله تعالى أن يكون ما في القلب من حبه

صلى الله عليه وسلم جابراً لما في العمل في الدفاع عنه من تقصير وما أشده، سلواي في ذلك ما جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة معتمراً قبل أن يفتحها وابن رواحة يمشي بين يديه **وهو يقول**:

خلُّوا بني الكفار عن سبيله اليوم نضربكم على تنزيله

ضرباً يُزيل الهام عن مقيلة ويُذهل الخليل عن خليله

فقال عمر: يا ابن رواحة، في حَرَم الله وبين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم تقول هذا الشعر! فقال النبي صلى الله عليه وسلم:" خلّ عنه يا عمر، فوالذي نفسي بيده لَكلامه أشدُّ عليهم من وقع النبل"[١]، وقول النبي صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت رضي الله عنه وكان يهجو المشركين ويرد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا هجاه المشركون: "اهجهم أو هاجهم وجبريل معك"[٢].

وقوله صلي اللّه عليه وسلم لكعب بن مالك :

(إِنَّ الْمُجَاهِدَ مُجَاهِدٌ بِسَيْفِهِ وَلِسَانِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَكَأَنَّمَا تَرْمُونَهُمْ بِهِ نَضْحُ النَّبْلِ).(٣)

- من أجل أن يعلم المسلمون مكانة نبيهم صلى الله عليه وسلم .....
- ومن أجل أن يعلم المسلمون كيف يكون الحب الحقيقي لهذا الرسول العظيم

وأسأل اللّه تعالى التسديد لما يرضيه من الأقوال والأفعال، اللهم ما وافق الحق مما كتبت فمنك وحدك وبفضلك وجودك وكرمك، وما خالف الحق فمني وأنا منه بريء والحمد لله رب العالمين.

واللّه أسأل أن يتقبل منا صالح الأعمال وأن يجعل هذا العمل في ميزاني يوم العرض عليه ، وأن يكون هذا العمل سببا في شفاعته صلى الله عليه وسلم .

"...ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ..." (الأعراف:٤٣)

الفقير إلي عفو ربه

رجب محمود إبراهيم بخيت

١] صحيح ابن خزيمة - ١٩٩/٤.

٢] صحيح البخاري - ٢٢٧٩/٥ .

٣) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ٣ / ٧٥ ، ترجمة كعب بن مالك .